

## التحرير والتنوير

والإشارة بذلك إلى الانتشار المأخوذ من ( فأنشرنا ) أي مثل ذلك الانتشار تخرجون من الأرض بعد فنائكم ووجه الشبه هو إحداه الحي بعد موته .

والمقصود من التشبيه إظهار إمكان المشبه كقول أبي الطيب : .

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال وقرأ الجمهور ( تخرجون )

بالبناء للنائب . وقرأه حمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر ( تخرجون ) بالبناء للفاعل والمعنى واحد .

على لتستوا [ 12 ] تركيبون ما والأنعام الفلك من لكم وجعل كلها الأزواج خلق والذي ( A E ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين [ 13 ] وإنا إلى ربنا لمنقلبون [ 14 ] ) هذا الانتقال من الاستدلال والامتنان بخلق وسائل الحياة إلى الاستدلال بخلق وسائل الاكتساب لصالح المعاش وذكر منها وسائل الإنتاج وأتبعها بوسائل الاكتساب بالأسفار للتجارة .

وإعادة اسم الموصول لما تقدم في نظيره آنفا .

والأزواج : جمع زوج وهو كل ما يصير به الواحد ثانيا فيطلق على كل منهما أنه زوج للآخر مثل الشفع . وغلب الزوج على الذكر وأنثاه من الحيوان ومنه ( ثمانية أزواج ) في سورة الأنعام وتوسع فيه فأطلق الزوج على الصنف ومنه قوله ( ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ) . وكلا الإطلاقين يصح أن يراد هنا وفي أزواج الأنعام منافع بألبانها وأصوافها وأشعارها ولحومها ونتاجها .

ولما كان المتبادر من الأزواج بادئ النظر أزواج الأنعام وكان من أهمها عندهم الرواحل عطف عليها ما هو منها وسائل للتنقل برا وأدمج معها وسائل السفر بحرا .

فقال ( وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركيبون ) فالمراد ب ( ما تركيبون ) بالنسبة إلى الأنعام هو الإبل لأنها وسيلة الأسفار قال تعالى ( وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) وقد قالوا : الإبل سفائن البر .

وجيء بفعل ( جعل ) مراعاة لأن الفلك مصنوعة وليست مخلوقة والأنعام قد عرف أنها مخلوقة لشمول قوله ( خلق الأزواج ) إياها . ومعنى جعل [ ] الفلك والأنعام مركوبة : أنه خلق في الإنسان قوة التفكير التي ينساق بها إلى استعمال الموجودات في نفعه فاحتال كيف يصنع الفلك ويركب فيها واحتال كيف يروض الأنعام ويركبها .

وقدم الفلك على الأنعام لأنها لم يشملها لفظ الأزواج فذكرها ذكر نعمة أخرى ولو ذكر

الأنعام لكان ذكره عقب الأزواج بمنزلة الإعادة . فلما ذكر الفلك بعنوان كونها مركوبا عطف عليها الأنعام فصار ذكر الأنعام مترقبا للنفس لمناسبة جديدة وهذا كقول امرئ القيس :  
كأني لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال .  
ولم أسبأ الراح الكमित ولم أقل ... لخليلي كرى كرة بعد إجمال إذ أعقب ذكر ركوب الجواد بذكر تبطن الكاعب للمناسبة ولم يعقبه بقوله : ولم أقل لخليلي كرى كرة لاختلاف حال الركوبين ركوب اللذة وركوب الحرب .

والركوب حقيقته : اعتلاء الدابة للسير وأطلق على الحصول في الفلك لتشبيههم الفلك بالدابة بجامع السير فركوب الدابة يتعدى بنفسه وركوب الفلك يتعدى ب ( في ) للفرق بين الأصيل واللاحق وتقدم عند قوله تعالى ( وقال اركبوا فيها ) في سورة هود .  
( ومن الفلك والأنعام ) بيان لإبهام ( ما ) الموصولة في قوله ( ما تركبون ) . وحذف عائد الصلة لأنه متصل منصوب وحذف مثله كثير في الكلام . وإذ قد كان مفعول ( تركبون ) هنا مبينا بالفلك والأنعام كان حق الفعل أن يعدى إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر ب ( في ) فغلبت التعدية المباشرة على التعدية بواسطة الحرف لظهور المراد وحذف العائد بناء على ذلك التغليب .

واستعمال فعل ( تركبون ) هنا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه .  
والاستواء : الاعتلاء . والظهور : جمع ظهر والظهور من علائق الأنعام لا من علائق الفلك فهذا أيضا من التغليب . والمعنى : على ظهوره وفي بطونه . فضمير ( ظهوره ) عائد إلى ( ما ) الموصولة الصادق بالفلك والأنعام كما هو قضية البيان